

الإمكانات الطبيعية والاقتصادية لولاية المدية وعلاقتها بالتوزيع السكاني والمردود التربوي (الطورين الابتدائي والمتوسط)

د/بدروني محمد

أ. سالي الجيلالي جامعة سعد دحلب - البليدة

تمهيد :

يتأثر التوزيع السكاني في كثير من الدول بالعوامل الجغرافية السائدة، وحجم وتوزيع الموارد الطبيعية والاقتصادية وما يتبع ذلك من آثار ديموغرافية واجتماعية واقتصادية للسكان، والتي قد تنعكس سلبا أو إيجابا على فئة الأطفال المتدرسين من حيث المردود المدرسي (انتقال، إعادة وتخلي عن الدراسة)، نظرا لما يمثلته التعليم من أداة رئيسية تهدف في النهاية إلى الاستثمار في العنصر البشري وإقحامه في مسار التنمية الشاملة وتقوية اقتصاد الوطن عامة، ومنطقة الدراسة خاصة، فقد احتل موضوع التنمية المحلية مركزا مهما بين مواضيع التنمية في الفكر الاقتصادي والدراسات الاجتماعية والسياسات الحكومية، لذا حاولنا معرفة تأثير الإمكانات الطبيعية والاقتصادية على التوزيع السكاني ثم المردود التربوي

1. الإمكانات الطبيعية والاقتصادية لولاية المدية

1.1. الموقع والحدود : تتربع ولاية المدية على مساحة تقدر بحوالي 877565 كم²، تقع في الجهة الجنوبية من العاصمة على بعد 88 كلم وعلى ارتفاع 900م عن مستوى سطح البحر، وهي جزء من الإقليم التلي الأوسط (انظر الخريطة رقم 1)، كما تشترك ولاية المدية في حدودها الإدارية مع عدة ولايات، إذ يحدها شمالا ولاية البليدة، من الغرب ولاية عين الدفلى وولاية تسيملت، من الجنوب ولاية الجلفة ومن الشرق ولايتي المسيلة و البويرة (انظر الخريطة 02).

أما من حيث التقسيم الإداري لولاية المدية فهي تضم 64 بلدية موزعة على 19 دائرة.

2.1. الناحية الطبيعية: تتواجد ولاية المدية في قلب الأطلس التلي، تتميز تضاريسها بالارتفاع المتباين (انظر الخريطة رقم 03) والتي تتخللها بعض السهول الضيقة والمتقطعة

العالية الخصوبة، كما تنتشر بالولاية الهضاب خاصة بالجزء الجنوبي، كما يمكن تقسيم تضاريس الولاية إلى أربعة مناطق :

. المنطقة الجبلية: يشكل شريط من سلسلة جبلية متواصلة يحد الولاية من الجهة الغربية والشمالية تمتد المنطقة الجبلية من الونشريس إلى غاية تابلاط، وهي تتميز بقلّة الكثافة السكانية وانتشار غطاء غابي كثيف كما يمارس سكانها تربية المواشي.

. المنطقة التلية : والتي تتوسط إقليم الولاية، تتميز بالنشاط الفلاحي، حيث تنتشر زراعة الأشجار المثمرة والكروم لمختلف أنواع العنب في المنحدرات والتلال، كما تنتشر أيضا المراعي والأعشاب على ضفاف الأودية والمجاري المائية

. المنطقة السهلية : وتضمّ هذه المنطقة سهل بني سليمان وسهل مراشدة وهي تقع وسط المنطقة التلية، يمارس فيها النشاط الزراعي المتمثل في زراعة الحبوب وزراعة أشجار الفواكه، وتربية المواشي .

. المنطقة الجنوبية : تتميز هذه المنطقة بعدم انتظام تساقط الأمطار حيث تكثر بها زراعة الحبوب على نطاق واسع بالإضافة إلى تربية الماشية (أبقار، أغنام وماعز)، تمتد المنطقة الجنوبية من بوقزول إلى غاية شلالة العذاورة على شكل هضاب.

3.1. المناخ : تعتبر الولاية بفضل موقعها الجغرافي همزة وصل بين الساحل والهضاب العليا. وهي ذات طابع فلاحي رعوي إذ تقدر الأراضي الفلاحية بمساحة 341000 هكتاراً ومساحة غابية تصل إلى 161885 هكتاراً تتوفر على إمكانيات حقيقية للنشاطات الاقتصادية المتعددة.

يتميز مناخ المدينة بخصائص فرضتها عوامل طبيعية منها:

- ارتفاعها يصل إلى 1240م عن مستوى سطح البحر (قمة بن شيكاو).
- وقوعها في سلسلة الأطلس التلي.
- تعرضها للرياح والتيارات الهوائية الغربية والرياح القادمة من الجنوب (رياح السيروكو) فهذه الأخيرة تؤثر بشكل واضح خاصة على الجزء الجنوبي للولاية (الشهبونية، بوغزول، البواعيش...إلح).

وبذلك فإنها تتميز بمناخ متوسطي شبه قاري معتدل، بارد ورطب شتاء، حار وجاف صيفاً، وتسمى بوابة الأمطار ويتراوح معدل التساقط السنوي ما بين (150ملم إلى 900ملم سنوياً) وذلك حسب خصائص كل منطقة، ففي شمال الولاية يصل إلى أكثر من 750ملم في بعض المناطق (بن شيكاو) ولايتعدى بالمناطق الجنوبية 300 ملم

سنويا (الشهبونية) ويرتفع معدل التساقط خاصة في ديسمبر، جانفي و فيفري، كما أنّ الثلوج تغطّي عادة المرتفعات الشمالية (بن شيكاو، تابلاط وبعطة...). وحسب الخصائص المناخية للولاية فإنه يمكن تقسيمها إلى أربع مجالات مناخية كالآتي :

• **المجال الرطب:** هذا المجال يخص مرتفعات الأطلس البليدي، يتميز بتساقط أمطار معتبرة تتجاوز 900مم تتوزع على مدار السنة في أيّام تفوق 75 يوماً، والموسم الجاف والحر لا يتجاوز 03 أشهر. كما أنّ تساقط الثلوج تدوم لأكثر من 20 يوماً، ويبلغ متوسط الحد الأدنى لدرجة الحرارة في شهر جانفي 0°م.

• **المجال شبه الرطب:** يغطي هذا المجال هضبة المدية والسفوح الجبلية الجنوبية للأطلس البليدي حتى تابلاط، فمعدّل تساقط الأمطار يتجاوز 600مم، موزع بشكل منتظم طوال السنة بعدد أيام تتجاوز 75 يوماً، وموسم جاف لمدة 03 إلى 04 أشهر، كما أنّ الثلوج تدوم حوالي 20 يوماً خلال فصل الشتاء مع انخفاض محسوس لدرجة الحرارة.

• **المجال شبه القاحل:** وفيه يتراوح معدل تساقط الأمطار ما بين (400-600مم)، وتدوم فترة موسم الجفاف لأكثر من 04 أشهر، ويشمل هذا المجال سهول بني سليمان، شلالة العذاورة ، أمّا الثلوج فهي لا تستمر لفترة طويلة إذ لا تتجاوز 10 أيام.

• **المجال القاحل:** وفيه لا يتجاوز معدل تساقط الأمطار عن 300 مم على كامل المنطقة الجنوبية السهبية للولاية من الشهبونية غرباً حتى عين القصير شرقاً .

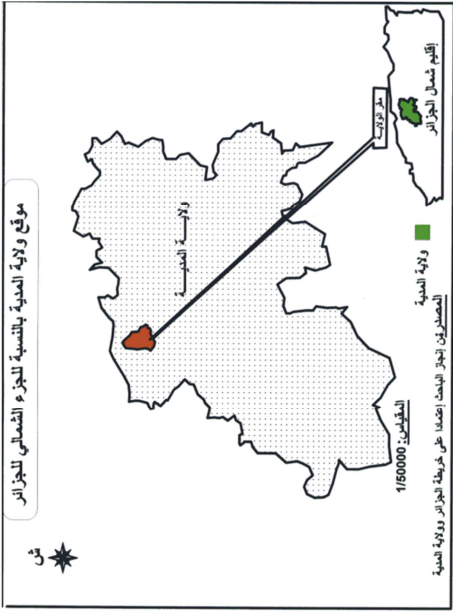
4.1. شبكة الطرقات: تعتبر الهياكل الأساسية للطرق على مستوى ولاية المدية الدّعمة الأساسية للمبادلات ما بين مناطق الولاية والولايات المجاورة لتلبية الاحتياجات وتطوير النشاط الاقتصادي، فشبكة الطرق بأنواعها (الطرق الوطنية الطرق الولائية والطرق البلدية) تتشكل من عشرة محاور رئيسية من الطرق الوطنية من بينهم طريقان رئيسيان يربطان الشمال بالجنوب (الطريق الوطني رقم 01، الطريق الوطني رقم 08) وأخرى تربط الشرق بالغرب (الطريق الوطني رقم 18 بين خميس مليانة والبويرة، الطريق الوطني رقم 60 بين قصر البخاري وشلالة العذاورة نحو المسيلة، الطريق الوطني رقم 40 بين تيارت والمسيلة) بمجموع 671 كلم.

يضاف إلى تلك المحاور الرئيسية 35 محوراً رئيسياً من الطرق الولائية تمتد على مسافة 873 كلم، بالإضافة إلى خطوط هامة من الطرق البلدية بطول 2448 كلم.

ويعتبر الطريق الوطني رقم 01 أحد المحاور الهامة التي تجتاز الولاية، يمتد من الجزائر العاصمة إلى غاية ولاية تمنراست ويمرّ عبر العديد من الولايات نذكر منها: البليدة، المدية، الجلفة، الأغواط...الخ.

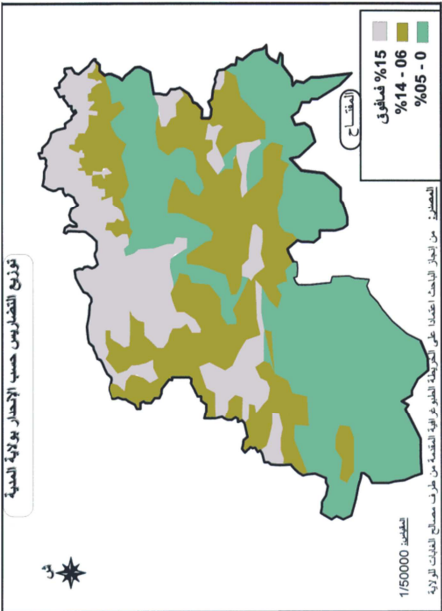
فالقدرات الحالية لشبكة الطرقات تعتبر كافية لاستيعاب حركة المرور، إلا أنّ استعمالها بكثرة خاصة عربات الوزن الثقيل (أكثر من 30%) يجعل من بعض مقاطع الطرق لا تلبي متطلبات حركة المرور، ولتدارك النقص المسجل بذلت السلطات المحلية في السنوات الأخيرة مجهودات معتبرة فيما يخص عصرنة الطرق وإعادة تأهيلها، تعزيز وصيانة الشبكة الحالية لتبقى في حالة جيدة.

الخريطة رقم 1



الخريطة رقم 4

الخريطة رقم 3



الخريطة رقم 2

المبينة للمناطق ذات التمرکز السكاني المرتفع أو المنخفض وتحدّد المناطق الأكثر ازدحاماً بالسّكان و يقصد بها عدد السّكان في الكيلو متر المربع الواحد ، وتحسب بقسمة عدد السّكان في الإقليم على المساحة بالكيلومتر المربع .

من خلال الخريطة رقم 5 يتضح جلياً أنّ التّوزيع السّكاني في ولاية المدية عبر كامل البلديات غير منتظم وهذا راجع لعوامل الاستقطاب السكاني وكذا تنوع أشكال السطح. وتشير الإحصائيات لآخر تعداد للسكن والسكان لسنة 2008م أنّ 84.83٪ من السّكان يتمركزون في مساحة قدرت بحوالي 41٪ من إجمالي المساحة .

ويمكن تقسيم منطقة الدّراسة حسب الكثافة السّكانية إلى ثلاث مناطق كالآتي:
مناطق ذات كثافة سكانية مرتفعة:

تشمل البلديات التي تتعدى فيها الكثافة السّكانية 200ن/كم²، كما هو الحال في كل من مقر الولاية وبعض البلديات الأخرى، كبلدية قصر البخاري، البرواقية، بني سليمان و تابلات (أنظر الخريطة رقم 5) حيث نجد أنّ نسبة 40٪ من سكان الولاية يتمركزون في هذه البلديات (المدية، قصر البخاري، البرواقية، بني سليمان، تابلات) والتي لا تتعدى نسبة مساحتها 5.12٪ من المساحة الإجمالية للولاية، وهي من أكبر البلديات ازدحاماً وذلك لما تتوفر عليه من هياكل قاعدية في مقدمتها الطرقات (انظر الخريطة رقم4) باعتبارها الدوائر الوحيدة في الولاية قبل التقسيم الإداري الأخير لسنة 1984م، بالإضافة إلى البعد التّاريخي لهذه المناطق الذي جعل منها أكثر المناطق جذبا للسّكان، هذه الأسباب شكّلت منها أقطاب هامة في الولاية ذات مراكز جذب للسكان واليد العاملة.

مناطق ذات كثافة سكانية قليلة: وتشمل البلديات التي تقل فيها الكثافة السّكانية عن 50ن/كم² وتضم البلديات المتواجدة في الجنوب والجنوب الغربي للولاية وبعض البلديات بالحدود الشّمالية للولاية والمجاورة لها، إذ نجد أنّ نسبة 15.17٪ (التعداد الوطني للسكان 2008م) من سكان الولاية يتمركزون في مساحة قدرّت بنسبة 59٪ من المساحة الإجمالية للولاية، ويعود سبب ضعف تمرکز السّكان في هذه البلديات الجنوبية إلى طبيعة التّضاريس القاسية الشبه صحراوية، وعدم انتظام تساقط الأمطار، أمّا في البلديات الشّمالية فتأثير الطّابع الجبلي للمنطقة وكثافة غطاءه الغابي هو السبّب في ذلك .

باقي البلديات : وتشمل البلديات التي تتراوح فيها الكثافة السّكانية ما بين 50ن/كم² و199ن/كم² وتضمّ البلديات المتواجدة في المناطق الشّمالية والوسطى

للولاية، حيث نجد أن نسبة 44.83٪ من سكان الولاية يتمركزون في مساحة قدرت بحوالي 35.88٪ من المساحة الإجمالية، ويعود هذا التّمرّكز الكثيف إلى طبيعة التّضاريس، والإمكانيات المتاحة بهذه المناطق والتي تشجّع على استقرار السّكان، فهذه البلديات تتميز بطابعها التّلي حيث السهول الخصبة والمتميزة بطابعها الفلاحي إذ تنتشر بها زراعة الأشجار المثمرة والحبوب وتربية المواشي، بالإضافة إلى شبكة الطرقات الوطنيّة و الولائيّة التي تربط هذه البلديات ببعضها البعض .

2.2. التّوزيع السّكاني حسب مكان الإقامة

يعتبر نوع الإقامة سواء في الوسط الحضري أو الرّيفي من أهم المتغيرات التي يمكن على أساسها وصف السّكان ، نظرا لاختلاف الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية بين سكان الحضر وسكان الرّيف مثل الخصوبة الوفيات، الهجرة والمستوى التّعليمي للسّكان...الخ. وعند دراستنا لهذا العنصر وجدنا أن عدد السّكان الحضر لم يتوقف عن التّزايد في الولاية، حيث انتقل معدل التّحضر من نسبة 23٪ خلال تعداد 1966م ليصل إلى نسبة 51.42٪ خلال آخر تعداد للسّكن والسّكان لسنة 2008م والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم 01 :تطور نسبة التّحضر في الولاية من 1977م إلى غاية 2008م

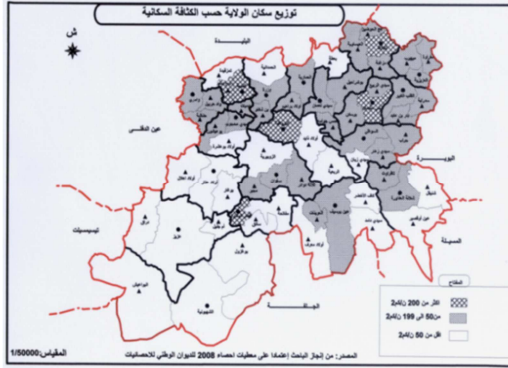
سكان الحضر	● %	سكان الريف	● %	
83520	23	279464	76.90	1966
131603	27.60	344297	72.30	1977
245097	37.50	407766	62.40	1987
318802	39.70	483276	60.20	1998
421609	51.42	398323	48.58	2008

المصدر :إحصاء 1966،1977،1998،2008

• من انجاز الباحث

وما يمكن استخلاصه من هذا الجدول أنّ توزيع السّكان بين الرّيف والحضر شهد تحولات جذرية سريعة، فسكان الحضر يشكلون نسبة 51.42% من العدد الإجمالي لسكان الولاية لسنة 2008م، ويمكن تفسير سرعة التّمدن إلى مجموعة من العوامل المتداخلة التّأثير كالهجرة الرّيفية بحثاً عن فرص العمل، أو هروباً من المناطق المعزولة نتيجة تدني الأوضاع الأمنيّة خلال العشرية الأخيرة بالولاية والبحث عن مناطق أكثر أمناً واستقراراً والمتواجدة عادة في التّجمعات السّكانية سواء الرّئيسية أو الثّانوية... إلخ. كما أنّ بعض البلديات حسب معطيات التعداد الوطني للسكن والسكان (2008م) وهي بلدية بوشراجيل، سيدي نعمان، سواقي، وامري وبئر بن عابد قد كانت بلديات ريفية (100%) حسب تعداد 1998م لتفوق نسبة التحضر في مجملها 40% خلال الإحصاء الأخير، نتيجة الخصائص الطّبيعية المميّزة لهته المناطق والتي ساهمت في استقطاب السكان واستقرارهم، وكذا السرعة في عودة الأمن في هذه المناطق .

إنّ نسبة التّمدن في ولاية المدية متباينة من منطقة لأخرى وهذا نتيجة ظروف وخصائص كل منطقة فمقر الولاية يمثل السّكان الحضر بها أكثر من 16.68% من مجموع السّكان الحضر للولاية، وأنّ 5 بلديات من بين مجموع 64 بلدية تمثل أكثر من 39% من السّكان الحضر بالولاية، وأغلب هذه البلديات هي الأقطاب الحضرية الميزة للولاية (المدية، بني سليمان، البرواقية، قصر البخاري و تابلاط) ، بينما نجد أنّ المناطق الأقل تحضراً تتواجد في المنطقة الجنوبية للولاية ذات البنية التّضاريسية شبه صحراوية المتميزة بقلّة التّساقط والتي تعتبر مناطق طرد للسّكان والمناطق الشّمالية الشرقية المتميزة بالطابع الجبلي وانتشار الغابات .



3. تقييم النظام التربوي في الولاية

لقد عملت الجزائر منذ استرجاع سيادتها، على إصلاح التعليم وتطويره، للتهوض بهذا القطاع، ورفع مردوده التربوي وكذا معالجة مختلف النقائص والسلبيات التي تواجهه، فالوصول إلى مردودية تربوية أفضل يعتبر الشغل الشاغل لأي منظومة تربوية، ويكون على أساسها تقييم أي نظام تربوي، فارتفاع نسبة الإعادة والتخلي عن الدراسة، والإخفاق في الامتحان والفسل الدراسي كلها تؤدي إلى نتائج غير مرضية وتكون عائقا أمام تطوير القطاع التربوي حيث تتركز فعالية النظام التعليمي على جدوى العلاقة القائمة بين الدّاخلين والخارجين من التلاميذ، بحيث أنّ النظام تزداد فاعليته كلما ازداد حجم الخارجين منه بالنسبة إلى الدّاخلين إليه

1.3. العلاقة بين مؤشرات العرض والطلب

تحسنت نسبة التّأطير في التعليم الابتدائي، أي عدد التّلاميذ لكل معلم واحد بعدما انتقل العدد من 22 تلميذا لكل معلم في الموسم الدراسي 2000م/2001م إلى 17 تلميذا /معلم للموسم الدراسي 2008م/2009م وقد سطرّت وزارة التربية الوطنية في برنامجها إلى تحقيق معدل 22 تلميذا للمعلم الواحد وهذا في التعليم الابتدائي.

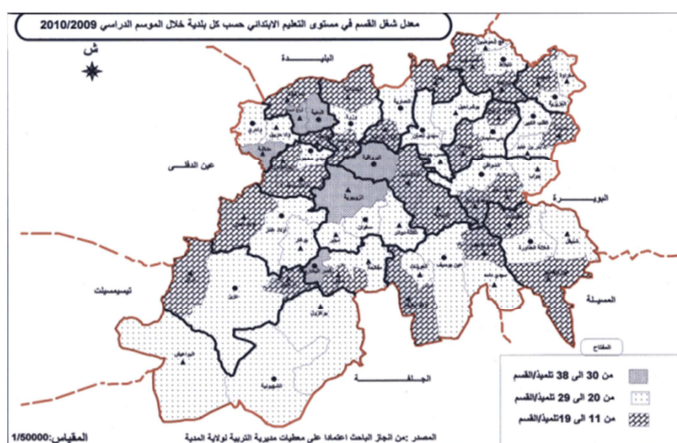
أمّا بالنسبة لعدد التلاميذ في قاعة الدرس الواحدة فقد شهدت مرحلة التعليم الابتدائي (الطور الأول والثاني) تحسنا في معدل شغل القسم، حيث انتقل من 38 تلميذا في القسم للموسم الدراسي 2000م/2001م إلى 24 تلميذا / قسم للموسم الدراسي 2008م/2009م وهو معدل مقبول بالنسبة لأهداف الوزارة، إلا أنّ هذه المعدّلات

(معدل شغل القسم) خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي والمقدرة بحوالي 24 تلميذ في القسم لا تمثل الوضعية الحقيقية والواقع المعيش للمتمدرسين، باعتبارها متوسطات لجميع قاعات التدريس الموجودة بالولاية، كما أنّ انتشار المدارس في المناطق الحضرية والمتسمة بكثافة سكانية مرتفعة والمناطق الريفية الضعيفة الكثافة عادة ما تولّد اختلافات متعددة، ولمعرفة تلك الاختلافات الموجودة بين مناطق الولاية إن وجدت، قمنا بحساب نسبة الاستقبال حسب كل بلدية وهذا لمرحلة التعليم الابتدائي خلال الموسم الدراسي 2009م/2010م والنتائج المتحصل عليها يظهرها الجدول رقم 2 والخريطة رقم 06.

الجدول رقم 02: معدل شغل القسم في المستوى الابتدائي حسب بلديات الولاية.

الولاية	التكرار	الحد الأعلى	المتوسط	الحد الأدنى	الأكثر تكرارا	فوق المتوسط	دون المتوسط
المدية	64	38	24	11	22	10	54

المصدر: من إنجاز الباحث اعتمادا على معطيات مديرية التربية لولاية المدية للموسم الدراسي: 2009م/2010م



من خلال الجدول يتضح أنَّ أكبر نسبة بلغت 38 تلميذاً /القسم بينما أدناها كانت 11تلميذاً/القسم، في حين أنَّ المتوسط العام للولاية كان 24تلميذاً/القسم. أمّا عدد البلديات التي فاقت نسبتها متوسط الولاية كان عشر بلديات من بين أربع وستين بلدية.

أمّا عند قراءتنا للخريطة يتّضح الخلل بين بلديات الولاية أين تسجل البلديات التالية: المدينة، ذراع السمار، حناشة، البرواقية وقصر البخاري والمتميزة بكثافة سكانية مرتفعة، أعلى النسب في معدل شغل القسم فتجاوز 30 تلميذاً /القسم، وسجلت بلدية الولاية أكبر نسبة كما يبيّنه الجدول حيث قدرت بحوالي 38تلميذاً/القسم وهي معدلات تؤثر سلباً على المردود التربوي للتلميذ، كما أنّها بعيدة كلّ البعد عن معدل الولاية.

ونجد النسبة منخفضة لتتراوح بين 19 و 11 تلميذ /القسم في البلديات الشمالية والغربية أين تقلّ فيها الكثافة السكانية، بسبب تضاريسها الجبلية وإكسائها بغطاء غابي كثيف، وبعض البلديات الوسطى والجنوبية والتي يغلب عليها الطابع الريفي حيث يمارس فيها النشاط الفلاحي والزراعي، كما شهدت أغلبية هذه البلديات نزوح ريفي كبير نحو المدن وهجرة خارج هذه البلديات، نتيجة الوضع الأمني الصعب الذي عاشته المنطقة خلال العشرية السوداء وطبيعة تضاريسها التي ساهمت إلى حد كبير في تردي الوضع الأمني والاستقرار.

أمّا بقية البلديات والتي عرفت استقراراً سكانياً والمتميزة أغلبها بكثافة سكانية متوسطة، فإنّها تعرف نسبة استقبال متوسطة قريبة من معدل الولاية، وتتراوح النسب فيها بين 20 و 29 تلميذ /القسم.

وللتدقيق أكثر و إبراز مدى الاختلالات بين البلديات، وحتى في البلدية ذاتها، اخترنا ثلاث بلديات تتميز الواحدة منها عن الأخرى من حيث الكثافة السكانية (مرتفعة، متوسطة وضعيفة) وهي مقر الولاية، بئر بن عابد وبعطة وقمنا بحساب نسبة الاستقبال لكل مدرسة متواجدة بهذه البلديات، والنتائج المتحصّل عليها مبينة في الجدول التالي :

جدول رقم 03: معدل شغل القسم في المستوى الابتدائي حسب بعض بلديات الولاية

البلدية	التكرار	الحد الأعلى	المتوسط	الحد الأدنى	الأكثر تكرارا	فوق المتوسط	دون المتوسط
المدية	46	69	36	18	36	23	23
بئر بن عابد	12	34	21	8	17	7	5
بعطة	02	15	13	12		1	1

المصدر : من إنجاز الباحث اعتمادا على معطيات مديرية التربية لولاية المدية للموسم الدراسي: 2009م/2010 م

من خلال قراءتنا للجدول يتّضح لنا التباين داخل البلدية نفسها أين نجد أعلى قيمة سجلت في مدرسة بمقر الولاية والبالغة 69 تلميذا /القسم فهي بعيدة كل البعد عن المتوسط العام للبلدية والمقدر بحوالي 38 تلميذا /القسم ويزيد الفارق أكثر بالنسبة لمتوسط الولاية والمقدر بحوالي 24 تلميذا /القسم، بينما نجد في بلدية بعطة أن أعلى قيمة مسجلة بها وهي 15 تلميذا /القسم تقلّ في الحقيقة عن أدنى قيمة مسجلة ببلدية المدية وهي 18 تلميذا /القسم.

وعند مقارنتنا بين البلديات يتّضح مدى تمركز السّكان في بعض البلديات كما أشرنا إليه سابقا ويتّضح ذلك من خلال عدد المنشآت، ونخص هنا هياكل استقبال التلاميذ ومعدل شغل القسم، أين نجد مقر الولاية به 46 مدرسة يشكل فيها معدل شغل القسم 38 تلميذا /القسم، بينما نجد بلدية بعطة بها مدرستين فقط بمتوسط وصل إلى 13 تلميذا /القسم، رغم أن مساحة بلدية بعطة تشكل ضعف مساحة الولاية إلا أننا نسجل العكس، ومن هنا يتّضح دور التّوزيع السكاني في إحداث التوازن والذي يبقى مرتبطا بالعوامل الجغرافية السائدة وحجم توزيع الموارد الطبيعية والاقتصادية.

2.3. المردودية الدّاخلية حسب الامتحانات الفصلية

لتحليل الوضعية وقياسها قمنا بتوظيف مؤشرات تربوية لبناء فكرة عن واقع التربية في الولاية هذه المؤشرات تتمثل في معدلات الانتقال، معدلات الإعادة و التخلّي، ونظرا لكثرة بلديات الولاية، فقد اخترنا مستويين لقياس المردودية الدّاخلية، وهما تلاميذ السّنة الخامسة أساسية للسّنة الدّراسية 2005م/2006م وتلاميذ السّنة أولى متوسط للسّنة الدّراسية 2006م/2007م.

1.2.3.1. الانتقال:

1.1.2.3.1. في مرحلة التعليم الابتدائي : من خلال ملاحظتنا للخريطة رقم 07 ومعدلات الانتقال المحسوبة من طرفنا يمكن تصنيف الولاية إلى ثلاث مجموعات وهي:

البلديات التي بها نسب أكبر من 90%: تميّز المناطق الشّمالية الوسطى (المدية، بوشراحيل البرواقية والعمارية... إلخ) وهذا نظراً للكثافة السكانية المرتفعة والتي تتراوح ما بين 50ن/كم² إلى 200ن/كم² وكذا توفر الهياكل الخدمائية، هذا ما أثر إيجاباً على ارتفاع نسبة الانتقال والذي تجاوز 90%.

وفي نفس السياق يمكننا التّحدث عن بعض البلديات ذات الكثافة السّكانية القليلة التي حققت نسب انتقال مرتفعة كباقي البلديات المذكورة سابقاً، مثل بلديتي بعطة والحمدانية والتي تفسر بما يلي :

- قلة عدد المتدربين وهياكل الاستقبال (مثلاً مدرستين فقط في بلدية بعطة).
- الطّابع الجبلي المتميّز بالغطاء الغابي الكثيف والانحدار الشّديد، جعلت سكّان المنطقة يتمركزون في مناطق تسمح لهم بالاستقرار وممارسة مختلف الأنشطة، هذه الأسباب قلّصت المسافة بين مسكن التلميذ ومدرسته.
- انخفاض معدل شغل القسم دون المستوى المراد تحقيقه من قبل السّلطات المعنية، قد يؤثر سلباً في نوعية الانتقاء كما قد يؤثر إيجاباً في مستوى التّحصيل الدّراسي للتلميذ (الاستيعاب).

ونجد بعض البلديات في الجزء الجنوبي للولاية حققت نفس النّتائج رغم قسوة الظّروف الطّبيعية (قلّة التّساقط، البرودة شتاءً، الحرارة والجفاف صيفاً)، إلّا أنّ قلة عدد المدارس في بلديات (تافراوت، مجبر، العوينات وسيدي دامد) بمتوسّط أربع مدارس في كل بلدية يخلق لنا اختلالات في المقارنة بباقي البلديات، والتي تفوق فيها عدد المدارس أربعون مدرسة.

البلديات التي بها نسب تتراوح ما بين 80 إلى 90%: تميّز غالبية بلديات الولاية، والمتسمة في مجملها بأنشطة ذات طابع فلاحي ريفي (زراعة الحبوب، الأشجار المثمرة، وتربية المواشي... إلخ)، هذه الخصائص جعلت أرباب الأسر يستغلّون جميع أفراد الأسر بما فيهم الأطفال في سنّ التّمدريس، قصد الرّفّع من القدرة الشّرائية ومداخليهم، فهذا قد يؤثر سلباً على المردود الدّاخلي للتلميذ.

البلديات التي بها نسب أقل من 70%: تميز البلديات الجنوبية ذات المساحة الشاسعة التي تتلاءم مع النشاط الرعوي السائد بالمنطقة والذي يعد المدخل الرئيسي لسكانها كالشهبونية، بوقزول، عزيز وأولاد معرف، ومن خلال زيارتنا الميدانية لهذه المناطق تبين لنا التبعثر الشديد للمساكن، هذا ما خلق صعوبات وعدة مشاكل مطروحة مثل بعد مسكن التلميذ عن المدرسة، أين تتجاوز المسافة أكثر من 5 كلم في ظل غياب شبكة الطرقات التي تزيد من عزلة السكان وقساوة الطبيعة التي تهدر قوى التلميذ .

2.1.2.3. في مرحلة التعليم المتوسط : (انظر الخريطة رقم 08) يتجلى الفرق بين المستويين (التعليم الابتدائي و المتوسط) في كون هياكل الاستقبال للتعليم الابتدائي تتوزع على كامل إقليم البلدية، في حين مستوى التعليم المتوسط تتوزع غالبية هياكله في مقر البلديات، هذا ما يزيد من تدني المردود الداخلي للتلميذ نتيجة زيادة المسافة بين مسكن التلميذ والمؤسسة والتي تقلل من متابعة الأولياء لأبنائهم، كما أن ارتفاع معدل شغل القسم في هذا المستوى يؤثر سلباً على مستوى التحصيل الدراسي وكذا الأداء الجيد للمؤثرين. ومن خلال ملاحظتنا للخريطة والأسباب التي تحدثنا عنها سابقاً يمكن تقسيم الولاية إلى ثلاث مجموعات حسب نسبة الانتقال وهي :

المجموعة الأولى والتي سجلت بها نسبة 75% فأكثر: حققت هذه النسب في بعض البلديات المنتشرة بالجهة الشمالية الشرقية للولاية (بني سليمان، بئر عابد، العزيزية، السواقي، بوشراحيـل...إلخ) إذ يعود ارتفاع نسبة الانتقال بها نتيجة تداخل التجمعات الريفية بشكل متجانس، لطبيعة المنطقة الصالحة في أغلب أراضيها لاستقرار السكان، مما أدى إلى نمو التجمعات السكانية وشغلها تقريباً لكامل المجال الجغرافي للبلدية، هذا ما ساعد في خلق طرق تسهل تنقل السكان داخل إقليم البلدية .

كما أن البلديات التالية (بوغار، أولاد هلال، فج الحوضين، أولاد عنتر) قد حققت نفس النتائج، رغم الكثافة السكانية الضعيفة وكذا قلة المنشآت القاعدية إلا أن طبيعة التضاريس التي خلقت تجمعات في مناطق ذات مساحات صغيرة مقارنة بالمساحة الإجمالية قد تقلص المساحة بين المنزل والمؤسسة.

المجموعة الثانية والتي سجلت بها نسب تراوحت بين 50% و75%: وهي نتائج حققت في غالبية بلديات الولاية، والجدير بالذكر أن بلديتي بوغزول والشهبونية ورغم طبيعة تضاريسها القاسية إلا أنها حققت نتائج إيجابية نوعاً ما مقارنة بمرحلة التعليم

3.2.3. التخلي: التخلي عادة مايمثل التسرب المدرسي أو التلاميذ الذين لم يُسمح لهم بالإعادة نتيجة تكرار الإعادة أكثر من مرتين في مرحلة التعليم المتوسط ، فهذه الظاهرة تختلف عن الإعادة والانتقال كونهما يمثلان البقاء بينما التخلي يعني مغادرة الصف الدراسي دون رجعة والذي يكون عادة نتيجة عدة أسباب قد تعود إلى الفشل الدراسي أو إلى ظروف لاتتعلق بمستوى التحصيل الدراسي وإنما لظروف قد تكون اجتماعية ، إقتصادية ثقافية...إلخ.

3.2.3.1. في مرحلة التعليم الابتدائي: قمنا بتصنيف معدلات نسب التخلي إلى ثلاث مجموعات حسب المعطيات المقدمة من طرف مديرية التربية للولاية والتي يمكن ذكرها كالتالي:

البلديات التي بها نسب التخلي أكبر من 10%: تُميز المناطق الجنوبية نظراً لقسوة الظروف الطبيعية التي تؤثر على التمرکز السكاني مما ينجم عنه وجود التبعثر وقلة التجمعات ، هذا ما قد يحدث إرهاب وممل للتلميذ يؤدي به في آخر المطاف إلى التفكير في الانقطاع عن الدراسة.

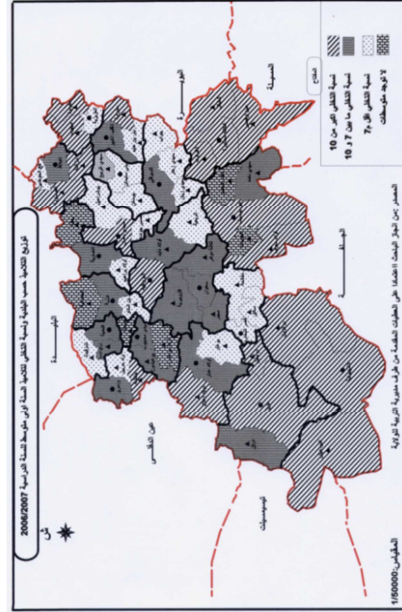
البلديات التي بها نسب التخلي ما بين 05 . 10%: وهي في الغالب تتركز في الجزء الجنوبي للولاية لأسباب ذاتها التي ذكرناها سابقا ومن أهم البلديات (البوايش ، دراق ، أم جليل ، عين بوسيف ، سيدي دامت...الخ) وأيضاً سجلت نفس النتائج في بعض البلديات الشمالية الشرقية وأقصى الشمال الغربي التي يغلب فيها ممارسة الأنشطة الفلاحية الريفية كبني سليمان ، فالتلميذ يتجه من المدرسة إلى البيت بعد الإنتهاء من الدراسة لممارسة أنشطة أسرته.

البلديات التي سجلت فيها نسب التخلي أقل من 05%: إذ يغلب عليها الطابع الحضري إن صح القول كالبرواقية ، المدية ، وباقي المناطق المتميزة بالكثافة السكانية المتوسطة عموماً وقلة التبعثر السكاني.

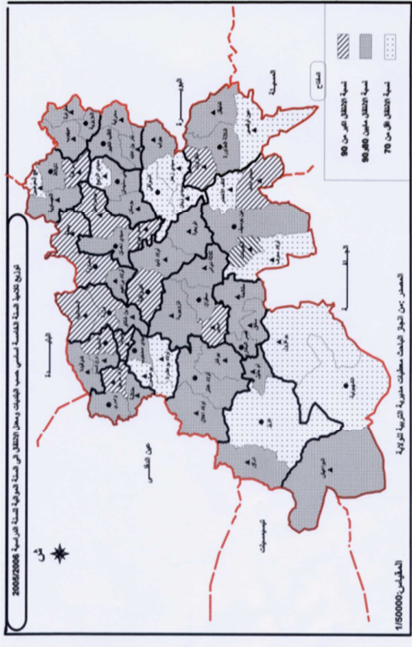
3.2.3.2. في مرحلة التعليم المتوسط:

من خلال الخريطة رقم 10 يتبين لنا أن 20 بلدية سجلت بها نسبة تخلي فاقت 10% والمتواجدة بجنوب الولاية و36 بلدية سجلت بها نسب التخلي تراوحت ما بين 10% و18

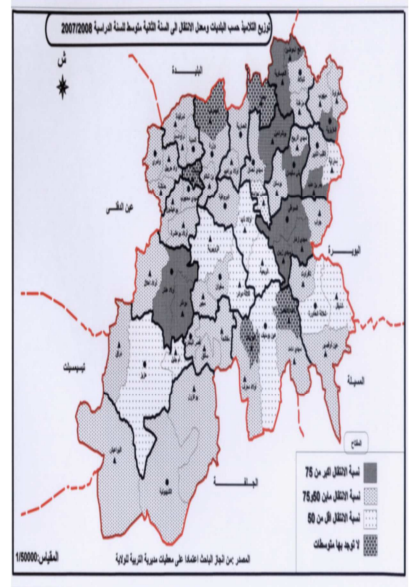
بلدية سجلت فيها نسبة التخلي دون 07% وهذا التباين في توزيع هذه النسب في بلديات الولاية مرده إلى أسباب ذكرت سابقا.



الخريطة رقم 8



الخريطة رقم 9



خلاصة

هناك بعض الدّراسات المتعلقة بالتّربية لليونسكو تؤكد أنّ الكثافة السّكانية لها آثار سلبية على التّربية وهذا ما أكدته هذه الدراسة.

كما أنّ تكلفة التّجهيزات والمعدات والبناءات المدرسية هي أكثر كلفة في المناطق الأقل تمرّكزا سكانية، وتخلق المسافة الأكبر بين المدرسة ومسكن التّلميذ عدة صعوبات، مثل التغيّب المستمر، ضياع الوقت، الإرهاق...الخ، فكل هذه الأسباب تؤدّي إلى الفشل الدراسي.

وقد يعود هذا إلى طبيعة المنطقة والتي قد تكون لها آثار ايجابية أو سلبية على تمرّكز السّكان، كما أنّ الكثافة السّكانية الضّعيفة قد تؤثر سلباً على المردود التّربوي .

ونستنتج أنّ المردود التّربوي الضعيف من بين أسبابه ضعف الكثافة السكانية، التضاريس الصعبة، نقص التحضر، وكذا المناخ الجاف...الخ، ونظراً لهذه العوامل (بعد المسكن عن المدرسة، الظروف الاجتماعية الصعبة، درجة الحرارة أو البرودة المرتفعة، عدم توفر المنشآت القاعدية كالطرق والنقل...الخ) كل هذه الظروف تؤدي بالتلميذ إلى بذل جهد كبير يفوق طاقته لأجل التحصيل الدراسي وهذا ما يؤدي به في آخر المطاف إلى التخلي عن الدراسة.

إذا فإن التضاريس تتحكم بشكل واسع في التوزيع الجغرافي للسكان، فإما وجود إمكانيات تشجع على الاستقرار أو وجود عوائق تحد منه، فتباين التضاريس من حيث الارتفاع والانخفاض أو من حيث اختلاف أنواعها من مرتفعات وجبال وسهول وأنهار ترتبط ارتباطاً قوياً بالتباين في توزيع السكان، كما أن المناخ يعتبر أحد العناصر المكون للبيئة التي نعيش فيها، وبوجه عام فإن الإنسان يتأثر بالمناخ أينما كان، وإن كانت درجة هذا التأثير تختلف باختلاف الظروف المناخية وباختلاف درجة تقدم الإنسان، فهو الذي يحدد المنطقة التي يجد فيها الإنسان سعة من العيش، وذلك بفرض أنشطة اقتصادية معينة .

المراجع :

1. أبو بكر بن بوزيد، اصلاح التربية في الجزائر، رهانات وانجازات، دار القصبة للنشر، الجزائر مايو(2009).
2. أحمد إسماعيل حجي، اقتصاديات التربية والتخطيط التربوي، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002 م .
3. بوفلجة غيات ، "التربية والتعليم بالجزائر"، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، (2006).
4. هادية محمد أبو كيلة، تخطيط التعليم واقتصاديته، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001م.
5. يعقوب أحمد الشراح، التربية وأزمة التنمية البشرية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2002م
6. الجريدة الرسمية، العدد 04، الصادرة بتاريخ 27/01/2008م.
7. الديوان الوطني للإحصاء، الجزائر بالأرقام، نشرة رقم 39 سنة 2009م.
8. مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية المدية، المدية بالأرقام، سنة 2009م، 2004، 2007، 2009.
9. مديرية الغابات لولاية المدية.
10. مديرية الأشغال العمومية لولاية المدية.